الأسرة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية بين ضرورة التأصيل وأولويات التغيير - مقاربة سوسيولوجية-

ملخص

تعد الأسرة الخلية الأولى التي يتكون منها أي بناء اجتماعي كان باعتبارها ظاهرة إنسانية لها أسسها ومقوماتها لكن حقيقة تعدد المفاهيم التي تطرقت لها تجعلنا أمام إشكالية هامة تعكس واقع اختلاف بنية الأسرة و تنوع أنماطها والتي تختلف باختلاف الأنساق الثقافية السائدة خاصة في المجتمعات الإسلامية و الغربية، من جهة أخرى يبدو أن التحولات التي أحاطت بالمجتمعات المعاصرة زادت من حدة التغيرات التي مست جل وظائفها ولكن مع ذلك بقيت عملية التنشئة الاجتماعية أحد أهم الوظائف وما من بديل يمكن أن يعوض دورها وإن تنوعت المؤسسات التنشئوية المنافسة لها، بالنظر إلى الأثر العميق الذي تتركه في شخصية الفرد والذي يمتد من سنواته الأولى ليستمر مدى الحياة. لذا عمدنا إلى التعمق في ماهية هذه العملية، أهم الاتجاهات النظرية المفسرة لها، خصائصها، أساليبها، و العوامل المؤثرة فيها لنعالج في الأخير مظاهر تغير أساليب التنشئة الاجتماعية في ظل النظام العالمي الجديد بالتركيز على أهم التغيرات التي مست حياتنا المعاصرة والتعرض إلى العنف كأحد المظاهر السلبية المتولدة عن ذلك ونقترح بعض العوامل الهامة لتفعيل المتابعة الأسرية لتنشئة الأبناء في ظل التحولات التكنولوجية والثورة الاتصالية المتسارعة.

أ. بيبيمون كلثوم
قسم علم الاجتماع
كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية
جامعة باتنة، الجزائر

Résumé

La famille est le premier noyau composant tout édifice social en tant que phénomène humain ayant ses propres fondements et principes, mais la réalité des multiples concepts que nous avons traités, nous met face à une problématique importante qui reflète la réalité des différences existant au sein de la structure familiale et la diversité de ses

تمهيد:

شغلت الأسرة اهتمام الباحثين لعقود من الزمن تتالت فيها الدراسات التي تناولت بالبحث مختلف جوانبها، فالأسرة هذا الموضوع القديم الحديث والذي وإن تجددت مقارباته فذلك بفعل خصوصية هذه المؤسسة التي تنبض بطبعها بتفاعل دائم جعلها مجالا خصبا لدراسات لا تتوقف , فهي جزء من حياتنا ارتبط بها الانسان منذ القدم لذلك اعتبرها الدارسون في علم

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2008.

modèles qui varient suivant les différences culturelles existant particulièrement au sein des sociétés occidentales et musulmanes; d'autre part, il semble que les changements qui se sont produits dans les sociétés contemporaines ont favorisé l'acuité des changements ayant touché la plupart de ses fonctions, sachant que le processus de socialisation est resté l'une des fonctions les plus importantes sans aucune autre alternative à son rôle malgré l'existence d'une variété d'institutions fondatrices concurrentes. Tenant compte du profond impact sur la personnalité de l'individu dés ses premières années et qui subsiste durant toute sa vie. Par conséquent, nous nous sommes intéressés à une étude en profondeur de ce processus, à l'interprétation des tendances théoriques les plus importantes, à ses particularités, ses méthodes et aux facteurs qui l'affectent, afin de traiter les manifestations du changement des méthodes de socialisations à l'ombre du nouvel ordre mondial en se focalisant sur les changements importants ayant affecté notre mode de vie contemporain, ainsi qu'à la violence en tant que phénomène négatif généré par ses effets, et de proposer certains facteurs importants pour contribuer au suivi familial pour l'éducation des enfants à l'ombre des mutations technologiques et de l'évolution des moyens de communication.

الاجتماع نظاما عالميا وأحد مقومات الوجود الانساني، لكن ماهو غير عالمي فيها فهو شكلها الذي يختلف من مجتمع الى آخر (1) .

هذا الأمر يقودنا الى طرح إشكال آخر حول مفهوم الأسرة والذي يصعب ضبط تعريف شامل له، بسبب تعدد وجهات النظر وتنوع أنماط الاسرة التي تختلف باختلاف الانساق الثقافية السائدة من بيئة اجتماعية الى أخرى , فالأسرة مأخوذة من الأسر وهي القوة والشدة , لذلك تفسر بأنها الدرع الحصينة لأن أعضاء الاسرة يشد بعضهم بعضا، وتقوم الأسرة على أساس شرط الزواج الذي يمنح هذه العلاقة طابعها الشرعي فهي جماعة اجتماعية تربط أفرادها روابط الدم و الزواج, يعيشون في ظلها حياة اجتماعية وإقتصادية واحدة تجعلهم ملزمين بجملة من الحقوق والواجبات, يعرفها **"أوجبرن ونيمكوف** بأنها « رابطة اجتماعية دائمة نسبيا تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال أو من زوج بمفرده مع أطفاله أو زوجة بمفردها مع أطفالها .. ». (2) يوضح لنا هذا التعريف مثلا نمط الأسرة النواة مع ذلك قد نجد تعريفات أخرى تعرض أنماطا أخرى لها كنمط الأسرة الممتدة،.الأسرة الشبه ممتدة وغيرها من الأشكال التي تتعدد بتنوع الأنساق الثقافية التي تنتسب إليها، لذلك وبغية توضيح الرؤية أكثر حاولنا عرض ملامح تغير بنية الأسرة بين المجتمع الإسلامي والغربي بالتركيز على سمات الأسرة في كل من المجتمعات العربية والغربية وملامح التغير في كل منهما.

ملامح تغير بنية الأسرة بين المجتمع الإسلامي والغربي

في الواقع لا يمكننا فهم التغيرات التي عرفتها بنية الأسرة المعاصرة بمنأى عن التحولات الهامة التي أحاطت بها والتي تزامنت وتسارع وتيرة النموالحضري، الاقتصادي العلمي والتقاني الذي شهده المجتمع المعاصر والراجع وفق بعض التحليلات الى القرن السادس عشر حيث أصبحت جل تعاملاته اليوم تجري في سوق كونية زالت في ظلها كل الحدود يتحكم فيها النظام الامبريالية العالمي الذي رمى بكل ثقله على كل مجتمعات العالم، ومع أن تجليات هذه الظاهرة ليست بالأمر الجديد إلا أنها أضحت أكثر فتكا نظرا لتعاظم التدفق المعلوماتي والاتصالاتي الذي يسر من عملية اختزال الزمان والمكان .

كل ذلك خلف آثارا هامة مست مختلف جوانب حياة الإنسان من بينها **بينة الأسرة** ذاتها حيث تغيرت أنماط تشكلها وتفككها، بل وتغيرت طبيعة التوقعات والأهداف التي تسود العلاقات الشخصية بين الأفراد داخل الأسرة الواحدة (3)، مع أن سمات هذا التغير وملامحه تختلف بين المجتمعات الغربية والعربية نظرا لاختلاف وتيرة النمو ودرجة تأثيرها على بنية الأسرة، فإذا كانت الأسرة في المجتمعات الغربية قد عرفت هذه التحولات ضمن سيرورة تاريخية متواترة استمرت لأجيال فان التحولات التي أحاطت بالأسرة في المجتمعات العربية كانت فجائية وهي التي جعلتها اليوم أمام تحديات هائلة .إلا أن ذلك لا يعنى أنها لم تعرف تحولات قبل ذلك، لان التغير وارد ويستمر لكن تجلياته على بنية الأسرة العربية كان جد بطيء نظرا لثقل النسق القيمي الذي يوجه سلوكات الفاعلين في هذه المجتمعات .

وهذا ما أكدته نتائج إحدى الدراسات الحديثة التي أنجزت حول التحولات والمشكلات المرتبطة بالأسرة الخليجية حديثة النشأة، حيث اعتبرت أن في المجتمعات التي وصلت إلى درجة كبيرة من التطور أو عقلانية التطور وعدم فجائيته لا تواجه الأسرة تلك التغيرات الحادة التي تقلب كياناتها، من منطلق أن الأسرة في المجتمعات الغربية مرتبطة ببنية مجتمعية شاملة، ومتجانسة إلى حد بعيد، قوامها الفردية اللبرالية بتجلياتها وتطبيقاتها المختلفة سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي، أو الاجتماعي، وحتى القيمي، وهو ما تجلى في تحول الأسرة من نمط الأسرة الممتدة إلى نمط الأسرة النووية، على نقيض ذلك فإن التوترات المجتمعية والتحولات الفجائية التي شملت مختلف الميادين أثرت على درجة استقرار الأسرة العربية وتوجهاتها القيمية والتي ما تزال تمر بمراحل التغير تتنازعها الرغبة في التحديث على الطريقة الغربية والارتباط بالقيم الجماعية الراسخة (4)

لذلك سعينا لضبط **سمات الأسرة الغربية** التي وجدنا أنها إضافة إلى تدعيمها للقيم الفردانية المستمدة من النمط الرأسمالي فهي تميل أكثر إلى النووية، كما تتميز بهشاشة العلاقات الاجتماعية إذ تؤكد الدراسات الحديثة في علم الاجتماع على التحولات التي تعرفها العلاقات الشخصية وأثرها على رابطة الزواج والأسرة، وأن أهم سمات الأفراد في المجتمعات المعاصرة هي تضارب المصالح بين العائلة، العمل،

الحب وحرية السعي لتحقيق الأهداف الشخصية، لدرجة أن ذلك أثر حتى على تطلعات الزوجين داخل الأسرة الواحدة ففي سبيل تحقيق الذات تتآكل مفاهيم التضحية والالتزام .

ومن تبعات ذلك نجد ارتفاع نسب الطلاق حيث دلت أحدث المسوح وفق إحدى الدراسات أن 40 بالمئة من الزيجات في بريطانيا اليوم تنتهي بالطلاق، وأن هذه النسبة قد بدأت بالاستقرار عند هذا المستوى خلال 20 سنة الماضية، وفسرت ذلك بالرخاء الاقتصادي النسبي الذي أصبح يسهل إقامة علاقات جديدة إذا غابت المشاركة الوجدانية بين الطرفين،مما أدى إلى بروز أنماط أسرية يغيب فيها الأب أو الأم بسبب الطلاق أو لاعتبارات أخرى كظاهرة المعاشرة التي انتشرت بحدة كبديل للزواج يعيش فيها الطرفين معا حياة زوجية بدون ارتباط رسمي والتي تم ترسيمها قانونيا، كذلك انتشار العلاقات الجنسية المثلية، العنف المنزلي،وكل أشكال الجريمة وإيذاء الأطفال مما يؤكد على وجود خلل في بنية الأسرة الغربية بسبب تأكل المعايير الأخلاقية الموجهة لسلوكات الأفراد (5)

في المقابل عرفت الأسرة العربية خاصة في المجتمعات الإسلامية بطابع خاص ركيزتها القيم الإسلامية السمحاء التي دعمت روح التكافل والالتزام، ونظام قرابي فاعل تتأتى قوته من الطابع الامتدادي والأبوي للأسرة والعادات والتقاليد المتجددة.

مع ذلك عرفت الأسرة العربية كغيرها في المجتمعات الأخرى تحولات هامة نظرا للظروف التي أحاطت بها والتي أدت إلى تغير شكلها وحجمها، وبنائها ووظائفها، نمط توزيع السلطة بداخلها، العلاقات القرابية، نمط الإنتاج والاستهلاك وحتى أساليب التنشئة الاجتماعية، ولقد صاحب تلك التغيرات ظهور قيم جديدة تحمل في طياته بعض الجوانب السلبية التي تهدد بنية واستقرار الأسرة . وهذا ما أكدته إحدى الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع التواصل القرابي والخلافات في الأسرة الكويتية والتي وصلت إلى فكرة أن التحولات السريعة التي شهدها المجتمع المعاصر على مختلف الأصعدة أثرت على دور ومكانة الأفراد داخل الأسرة العربية الذي لم يعد معروفا بوضوح كما كان من قبل، كما فقدت الأسرة إلى حد كبير دورها في حماية الموروث الثقافي في مواجهة ثورة المعلومات والاتصالات، أيضا فرضت السياقات الحضرية الجديدة تعديلات كثيرة في أدوار الأمومة والأبوة، والأخوة، وعلاقات الجوار والقرابة، والتواصل القرابي، الأمر الذي خلق تهديدا لشبكة العلاقات الأسرية والجوارية، إذ تقلصت الانتماءات والولاءات العائلية وتحول النسق الجمعي الذي كان ينمو فيه الأفراد الى نسق فردي مستقل، ومن ثم ازدادت الفجوة الثقافية بين أفراد الأسرة الواحدة، وازدادت حدة التناقضات، حيث تضاءلت فرص التواصل والتماسك الاجتماعي، وتراجع تأثير القيم المتصلة بالتزام الأفراد بمسؤولياتهم اتجاه أقاربهم ، مع ذلك تؤكد نفس الدراسة استمرارية تأثير النسق الثقافي والقيمي على أهم العمليات الاجتماعية في المجتمع، وأن شكل التغير لم يكن جذريا بدليل وجود عناصر ومكونات ثقافية ماتزال متعايشة مع القيم الجديدة، كما أن نمط الأسرة الممتدة لم يختف تماما بل مازال متداخلا مع النمط النووي، مما يؤكد استمرار منظومة القيم القبلية التي مازالت تتعايش مع

التحولات، وبالتالي فالأسرة العربية تمر بمرحلة انتقالية قد تبدومستقلة شكليا ولكنها تابعة ضمنيا (6)

2_ وظائف الأسرة بين التغيــر والثبــات:

عرفت وظائف الأسرة مع مرور الزمن تحولات هامة نتيجة تعقد الحياة الاجتماعية وتوسع نطاق أهداف أعضاء الأسرة، فبعدما كانت واسعة تشمل كل جوانب الحياة تضاءلت لتصبح أكثر إرتباطا بوجود الاسرة ذاتها في اطار سعيها لتوفير متطلبات الحياة المعيشية لأعضائها , وتنشئتهم واعدادهم لمواجهة أعباء حياة أكثر تعقيدا .

كانت الاسرة قديما تقوم بكفاية نفسها بنفسها من مستلزمات الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومأوى فتنتج كل ما تحتاج اليه، كما كانت تشرع بنفسها فتضبط حقوقها وواجباتها وتحدد نطاق علاقاتها مع الأسر والعشائر الأخرى وتقوم بالفصل بين الأفراد في الخصومات وتقتص من المعتدين، كما كانت تتكفل بنقل القيم الخلقية والدينية الى أفرادها . (7)

أما حاليا فقد تقلصت وظائفها الى ما دون ذلك وجاءت مؤسسات أخرى لتحل محلها أو بالأحرى لتساندها وظيفيا وتسهم بدورها في تكامل البناء الاجتماعي إذ أضحت لكل وظيفة هيئة مستقلة تعمل بشكل موازي لها وتأخذ شكل مؤسسة أو وزارة

لذلك أصبحت الأسرة اليوم ومع تزايد وتيرة التطور الصناعي والتكنولوجي وحدة إقتصادية مستهلكة بعدما كانت منتجة وأضحت تشارك في العمل الصناعي كي تستطيع سد حاجياتها اليومية من سلع وخدمات .، إضافة الى ذلك فقد تحولت الوظيفة التشريعية الى المجالس والهيئات السياسية الرسمية التي أصبحت الأسرة تابعة لها، كما تحولت الوظيفة التعليمية والتربوية وحتى الترفيهية الى هيئات ومؤسسات أخرى .كرياض الأطفال، المدارس، المساجد، النوادي.،المسارح، الجمعيات، وسائل الاعلام ...._ يبدومن ذلك أن الفرد أصبح لا ينتج لنفسه بل لمجتمعه_، مع ذلك فقد استفاد الفرد بفضل حركة التقدم السريعة من تطور نسق الخدمات الذي جعله يحظى برعاية ومتابعة أحسن وأنجع في جميع الميادين الصحية، التعليمية، التربوية، الثقافية ....

لكن مع تقلص هذه الوظائف لاتزال الأسرة تحتفظ بوظائف أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها والتي لا يمكن لمؤسسات غيرها أن تؤديها، وتشمل هذه الوظائف : الوظيفة الجنسية، وظيفة الانجاب والتكاثر، الوظيفة الاقتصادية، الوظيفة النفسية والعاطفية والتي يستكمل الأبناء في اطارها نموهم النفسي ويعيش الوالدين تجربة الأبوة والأمومة بعواطفها وانفعالاتها (8)، كذلك الوظيفة التربوية : فالاسرة هي المكان الطبيعي الذي يكتسب فيه الطفل هويته ويتعلم تحت مراقبة وتوجيه الوالدين مبادىء السلوك السليم، كما يتعرف بفضلها على دوره، دينه، لغته، حقوقه وواجباته .، كذا عادات وتقاليد مجتمعه... .كل ذلك بفضل عملية التنشئة الاجتماعية التي يتحول بواسطتها الفرد من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي، حيث تتم عملية استدخال القيم والمعايير السائدة في المجتمع عبر سيرورة تبدأ من الميلاد بهدف خلق شخصيات متكاملة وسوية تتكيف مع خصوصيات النسق الثقافي الذي تنتمي إليه وتستطيع

المساهمة في تنميته .، لذلك فعلى الرغم من التحولات الهامة التي عرفتها وظائف الأسرة مع نموحركة التخصص التي كرست فكرة التساند الوظيفي بقيت التنشئة الاجتماعية أحد أهم هذه الوظائف وما من بديل يمكن أن يعوض دورها وإن تعددت وتنوعت المؤسسات التنشئوية المنافسة لها، لان عملية الاتصال والتفاعل الاجتماعي التي تحدث داخل الأسرة تأخذ طابع الاحتكاك المباشر والوجداني الذي يتكرر بالعادة فيترسخ أثرها العميق في شخصية الفرد من سنواته الأولى ليستمر مدى الحياة.

لذلك فقد أشار بارسونز في هذا الصدد أن الأسرة أصبحت أكثر تخصصا ما كانت عليه من قبل ولكن هذا لا يعني أنها أصبحت أقل أهمية لأن المجتمع أصبح يعتمد عليها أكثر في آداء العديد من وظائفه المختلفة . (9)

3_ مــاهية التنشـئة الاجتماعية:

تعد التنشئة الاجتماعية أحد العوامل الهامة التي تمنح للنماذج الثقافية فعاليتها وجدواها، حيث تتكفل بعملية تعليم أعضاء الجماعة نماذج مجتمعهم حتى يمتثلون لها ويجعلون منها قاعدتهم الشخصية في الحياة . وفي هذا الصدد أوضحت أعمال **سيجمند فرويد** وتلميذيه **ميد** و**بياجي** أهمية عملية التنشئة التي بفضلها تستبطن المعايير الاجتماعية وتندمج في الشخصية لتصبح جزءا لا يتجزء منها، فعن طريق التربية ينمي الانسان طوال حياته إستعداداته وميوله وحاجاته، بحيث أن استجابته لها تكون بالامتثال الى القواعد والمعايير الاجتماعية المتفق عليها، كما أن معظم رغبات الانسان وحاجاته وآماله لاتتكون تلقائيا وتبعا لنوع من الضرورة البيولوجية أو حتى النفسية، انها تتحدد بحسب التشجيع الذي تتلقاه والمكافآت التي تقدم لها وتتخذ شكلا معينا فتنقش في شخصيته بقدر ما تلقى استجابة مرضية ممن حولها (10). ووهذا ما يعرف عموما بالجزاء الذي قد يأخذ شكلا إيجابيا كتقديم مكافأة أو سلبيا كإنزال عقوبة بمن لايخضع لقواعد النسق.

وقد يتساءل الواحد منا عن أصل هذه العملية وما هو المصدر الذي يمدها بكل هذه الفعالية ؟، الحقيقة يبدو أن سر ارتباط هذه العملية بالانسان يتمثل في كونها تطور استعداداته الفطرية وتكسبه جملة من المؤهلات المستمدة من نسقه الثقافي والتي بدونها لا يستطيع أن يتكيف معه أو يتعايش مع الظروف والمواقف التي قد تصادفه في حياته، ومع أن لهذه النماذج الثقافية وجود خارجي بالنسبة للأفراد كما يؤكد **دوركايم** إلا أنها قد استبطنت من قبل كل واحد منهم وتبعا لذلك فإن الالزام أوالقسر الذي تفرضه لا يشعر به هؤلاء الافراد الذين يخضعون لها، لذا تعتبر كل من التنشئة الاجتماعية والجزاء أحد عاملي القسر الذي يكسب النماذج الثقافية صفة الاقناع والردع، لكن هذا لا يعني أن التنشئة الاجتماعية لاتفتح المجال للابداع أو أنها تقوم فقط بعملية اعادة انتاج الانماط الثقافية السائدة التي لها سمة القسر. وبهذا يبدو انها لا تحدث فصلا بين ماهو فردي وماهو جمعي بل هناك تواصل وتداخل بينهما فالأفراد ليسوا مجرد مستهلكين للثقافة بل هم أيضا يساهمون في خلقها ..

هناك تعريفات عديدة لمفهوم التنشئة الاجتماعية حيث يرى **زاندان** أنه يمكن تعريف التنشئة الاجتماعية بأنها « عملية التفاعل الاجتماعي التي تستمر طيلة حياة الفرد، والتي عن طريقها نكتسب المعرفة، والقيم، وأنماط السلوك الجوهرية بالنسبة للمشاركة الفعالة في المجتمع ... ».ويعرفها **فيليبس** فيقول « هي العملية التي عن طريقها ينمي الفرد بناء الشخصية، وتنتقل الثقافة من جيل الى آخر. ». (11)

كما يعرفها عبد الهادي عفيفي كالتالي « عملية التنشئة الاجتماعية هي اكساب الفرد شخصية المجتمع لمساعدته على تنمية سلوكه الاجتماعي الذي يضمن له القدرة على فهم استجابات الاخرين وإدراك أهمية المسؤولية الاجتماعية وبذلك يتحقق قدر مناسب لدى الفرد من التجاوب الاجتماعي النفسي. ». يعرفها أيضا محمد عاطف غيث بأنها« ذلك النوع من التعليم الذي يسهم في قدرة المرء على آداء الادوار الاجتماعية فهي تعليم ذو توجيه وكيفية خاصة ... ».(12)

الى جانب ذلك يعرفها **غي روشي** في تعريف جامع بأنها السيرورة التي يكتسب عن طريقها الشخص ويستبطن طوال حياته العناصر الاجتماعية الثقافية السائدة في محيطه ويدخلها في بناء شخصيته، وذلك بتأثير من التجارب والعوامل الاجتماعية ذات الدلالة والمعنى، ومن هنا يستطيع أن يتكيف مع البيئة الاجتماعية حيث ينبغي عليه أن يعيش .

يبدو من كل ذلك أن التنشئة الاجتماعية ماهي الا عملية تشريب الفرد ثقافة مجتمعه بكل ما تحمله من أفكار، قيم، معايير .ورموز، وأدوار تمتد من الولادة الى آخر لحظة في حياته، وتتساند لتحقيق ذلك عدة مؤسسات تنشئوية بغية إعداده لخدمة مجتمعه .

على ضوء ما سبق وبهدف توضيح الرؤية أكثر سنقوم بعرض **سيرورة التنشئة الاجتماعية** وهي :

1_إكتساب الثقافة :يتعلم الفرد منذ نشأته الأولى مختلف الأفكار والمهارات التي تتسع وتتعقد كلما تدرج عبر مراحل حياته إنطلاقا من مرحلة الطفولة فالمراهقة ثم الشباب الى أن يفارق الحياة، فمع تعدد المواقف والتجارب تتراكم خبراته وتزداد معرفته أكثر بطبيعة الأمور وكيفية تكيفه مع الأوضاع الجديدة التي قد تصادفه .

يقول شابيرو في هذا الصدد أن الثقافة مثل الهواء الذي نستنشقه نسلم بوجوده تسليما ولكننا نكاد لا نشعر به (13)

2_تكامل الثقافة في الشخصية:بفضل التنشئة الاجتماعية تدمج الثقافة في شخصية الفرد وتتخذ صورة قاعدة وجدانية وأخلاقية وفي الغالب لا يدرك هو نفسه حقيقة خضوعه لها . **:** « إن الثقافة والشخصية ليسا موضوعين منفصلين بل هما في الواقع وجهان لشيء واحد، إنهما جزء من عملية التفاعل التي يتكيف بها الناس مع بيئتهم ...ان كل من الثقافة والشخصية يعيش في الفرد، أو أنهما الفرد كما يعدل بالتعلم ... ».(14)

3_التكيف مع البيئة الاجتماعية : وتعد نتيجة حتمية لما اكتسبه الفرد من مؤهلات تجعله يشترك مع غيره في بعض العناصر والسمات التي تمكنه بدورها من التواصل معهم . (15)

تشترك عدة مؤسسات تنشئوية لضمان فعالية هذه العملية إذ تتساند وظيفيا لبناء شخصية الفرد في سيرورة تستمر مدى الحياة، لكن الأشكال التي تتخذها قد تختلف فاذا كان طابع التلقين هو السائد داخل الأسرة والذي ينتقل من الكبار الى الصغار فإنه يحدث كذلك بين الأشخاص من العمر نفسه في جماعات أخرى كجماعة الرفاق مثلا . وقد وجدت عدة تصنيفات لها، إنطلاقا من الهدف الذي تسعى اليه،أو الشريحة التي تتوجه اليها .إذا كانت جماعات او جمهور بأكمله أم إلى فئات عمرية متجانسة أو متباينة ...، فهناك مؤسسات تقوم بوظيفة التنشئة الاجتماعية بطريقة صريحة ومعلنة كي تعلم وترسخ المبادىء وتنشر المعارف مثال ذلك : الأسرة، الروضة، المدرسة .، المسجد ....، وهناك مؤسسات أخرى لا تمارس هذه الوظيفة إلا بطريقة وسائلية في سبيل أهداف أخرى تسعى اليها كأهداف معلنة فمثلا الجمعيات والنقابات والأحزاب والحركات الشبانية ...ينبغي عليها حتى تؤدي وظائفها أو تمارس بعض النشاطات أن تشرك أعضاءها مشاركة اجتماعية، فتبدو التنشئة الاجتماعية وسيلة من أجل القيام ببعض الوظائف . (16)

إن النوع الأول من المؤسسات التنشئوية تميل الى جعل التنشئة تشمل الشخص بأكمله وتمارس عليه تأثيرا يمس كل حياته في حين أن النوع الثاني فلا يمس الا جزءا من شخصيته .

4_**أهم الاتجاهات النظرية المفسرة لعملية التنشئة الاجتماعية :** هناك العديد من النظريات العلمية التي تناولت بالتحليل هذه العملية أهمها :

1_ نظرية التحليل النفسي :

تؤكد هذه النظرية من خلال رائدها فرويد على الأثر الخطير لمرحلة الطفولة في تشكيل شخصية الانسان الراشد وذلك بالتركيز على طبيعة علاقة الطفل بوالديه حيث يعتقد أن السنوات الخمس الأولى للطفولة المبكرة هي السنوات الهامة المسؤولة عن أنماط الشخصية التي يصعب أن يتحول عنها بعد ذلك .(17)

لقد حلل فرويد طبيعة العلاقة بين الطفل ووالديه مبينا جذور هذه العلاقات الجنسية التي سماها الليبيدو بمعنى الطاقة الحيوية للغريزة الجنسية، فبالنسبة له فان الاحتكاك بين الطفل وأمه يمده بأولى لذاته الجنسية وينمي عنده عاطفة الحب كما يهيء لديه هذه الرغبة التي تصبح فيما بعد حاجة يسعى الى تحقيقها بالبحث عن الاطمئنان العاطفي الذي يضعه في والديه، وبالتالي فإن دينامية عملية تعلم الكائن الحي تندرج ضمن سياق من العلاقات شديدة الانفعال، إضافة الى ذلك فقد حلل تركيبة مشاعر الطفل، ومفهوم الانا الاعلى لفهم سيرورة التنشئة الاجتماعية، اذ تتكون الانا الأعلى حسبه عن طريق استبطان الصور ذات الاهمية عاطفيا ومن قواعد الحياة التي تجعلها رموزا بنظر الشخص، هنا يشير بارسونز إلى أن فرويد يلتقي في تحليله للأنا

الاعلى مع المفهوم الدوركايمي للقسر فكلاهما يعتبره منبع الواجب الأخلاقي الذي تشكل بفضل عمليات الاستبطان والضبط الاجتماعي (18)

من هنا يبدو أن أنصار هذا المدخل يعتقدون أن التنشئة الاجتماعية تسعى لاحلال التوازن بين نزوات الفرد ورغبات المجتمع، وذلك عن طريق تهذيب تلك النزوات وصقلها كي تتحول الى سلوكات مقبولة اجتماعيا، وأن ذلك لا يكون ممكنا الا خلال السنوات الأولى من عمر الطفل بمعنى أن شخصية الفرد تتكون خلال مرحلة الطفولة أما التأثيرات التي يتعرض لها فيما بعد فلا تكاد تعد سوى جانبية .

2_**نظرية التعلـم** :

أساس عملية التعلم هي الاكتساب عن طريق العلاقة بين المؤثر والاستجابة، والتنشئة الاجتماعية حسب هذه النظرية ماهي الا نتيجة التجربة والخبرة ويمكن ادخال تغييرات على السلوك بالاعتماد على ذلك وعن طريق توظيف جملة من العوامل كالتكرار، تطبيق الثواب والعقاب، التجارب الأخطاء ...بالنظر الى هذه العوامل تتعدد طرق التعلم فهناك : التعليم الشرطي الذي يستخدم حواس الطفل لادخال المعلومة كتعلم الطفل الكلام عن طريق تكرار الكلمة مثلا، أيضا هناك التعليم باستخدام المحاولة والخطأ : لايكتفي في هذا النوع باستخدام التكرار وحده بل يتم اللجوء الى استخدام عامل تدعيمي قد يكون ثوابا أوعقابا يسبق أو يتبع عملية تكرار السلوك، لذلك يلجأ الولدين الى تقويم سلوكيات الطفل باستخدام هذه الطريقة، بالاضافة الى طرق أخرى ...

من هنا تبدو أن عملية التعلم ماهي الا نتيجة تطوير الاستجابات العضوية بالنظر الى المؤثرات الخارجية، لكن يبدو أن هذه النظرة لاقت االنتقادات لاذعة باعتبارها تخفي جزءا من الحقيقة وتصور الانسان كالآلة، لذلك جاءت مداخل أخرى وأشارت الى دور الوراثة في تفسير السلوك لانساني .

3 .**نظرية الدور** ركزت نظرية الدور على اعتبار أن الأدوار يكتسبها الأفراد عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، إذ يتعلم الفرد عن طريقها شروط أداء الدور وواجباته وحقوق التي تستزمه، وتتعدد الادوار التي يشغلها الفاعلون حسب متغيرات معينة كالسن والجنس، والمرتبة التي يحتلها الفرد داخل الاسرة والمكانة الاجتماعية داخل النسق، فما الدور إلا تعبير عن المكانة التي يحتلها الفرد .

4_**نظرية التفاعلية الـرمزية** :

تقوم هذه النظرية بتحليل الانساق الاجتماعية الصغرى، وتهتم بالطريقة التي يختار بها المشاركون في عملية التفاعل الاجتماعي لمعاني الرموز ويتفقون على هذه المعاني، ويتم تحديد معنى الرموز عن طريق الاتفاق بين أعضاء الجماعة، وتعد اللغة من أهم الرموز اللازمة في عملية التفاعل الاجتماعي وبالتالي في عملية التنشئة الاجتماعية .فعبر عملية التفاعل يكتسب الفرد الأدوار، أنماط السلوك، ... وتتحدد إستجابته التي يتعرف من خلالها على ذاته وفق تصور الآخرين له ومدى تقديرهم لذلك التصرف وتظهر في هذا المدخل اسهامات ارفين جوفمان الذي سماه بالنموذج المسرحي .

كما ترى التفاعلية أن المجتمع هو نسق متفاعل وأن التفاعل بين الفرد والمجتمع هو الذي يحدد هوية كل واحد منهما، حيث تلعب التنشئة الاجتماعية دورا هاما في ربط الفرد بالجماعة وربط الجماعة بالمجتمع، وبحكم انتماءه لهذا البناء يجد نفسه مرتبط بنسق من الرموز التي تربطه بجماعات معينة تساهم في بناء شخصيته . ويقول تشارلز كولي في هذا الصدد « الفرد والمجتمع وجهان لعملة واحدة ... ».(19)

وإذا كان علماء النفس يعتقدون أن عملية التنشئة تكون في السنوات الأولى فقط من عمر الطفل، فإن التفاعليون يعتتقدون أن التنشئة الاجتماعية هي عملية مستمرة مدى الحياة من خلال انتقال الفرد من دور الى آخر ومن موقف الى آخر، لذا يعتقد أصحاب هذا المدخل أن التنشئة الاجتماعية لا تكتمل أبدا ولا تبقى الشخصية ثابتة .

5_**خصائص التنشئة الاجتماعية داخل الأسـرة** :

يأتي الطفل الى الحياة محدود القدرة، ضعيف الارادة، ويكون خلال سنواته الأولى بحاجة ماسة الى رعاية وحماية دائمة من قبل الأسرة . في البداية تكون ذات الطفل غير متكونة ورغم ضعفه الظاهر الا أن الله تعالى قد حباه بجملة من القدرات والمواهب الكامنة والتي هي بحاجة الى تطور ونمو، ولا يكون ذلك ممكنا الا بفضل التفاعل مع المحيط الاجتماعي حتى يستدخل عبر عملية التنشئة مختلف العناصر المكونة لنسقه الثقافي ويتمكن من صقل مواهبه واكتساب الميول والاتجاهات التي تميز سلوكه وبالتالي تطبع شخصيته بمميزات فريدة يختص بها عن غيره .

فبفضل عملية التنشئة يتحول الطفل من كائن بيولوجي الى شخص اجتماعي وتتشكل بذلك ذاته الاجتماعية بعد أن كانت جل سلوكاته مدفوعة بواسطة غرائزه الفطرية البيولوجية ليقارب بذلك سلوك الحيوان لكن نقطة الاختلاف بينهما تكمن في قدرة الكائن البشري على النطق والتمييز التي تتطور إذا تنشأ على ذلك، كذا له قدرة ذهنية على انتاج وتشكيل رموز وإشارات ذات دلالات اجتماعية وثقافية متفق عليها يدركها بحواسه تمكنه من التواصل والتفاعل مع الآخرين (20)

ولاشك أن للأسرة دور أساسي في ذلك باعتبارها المحيط التنشئوي الأول الذي يحتضن الطفل وينسج معه مناخا خاصا قادرا على أن يؤثر على نموه النفسي والعقلي وحتى الانفعالي، ذلك لأن نمط التفاعل الاجتماعي داخل الاسرة يأخذ طابع الاحتكاك المباشر بعكس المؤسسات الأخرى التي تأخذ طابع اللوائح والأنظمة . (21)

ان أسباب أهمية وفعالية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة تعود الى :

- أن طفل الانسان قياسا بالحيوان يمر بفترة من الوهن والاتكالية تجعله في حاجة دائمة الى الكبار من حوله، ولإشباع حاجاته يكون دائما بحاجة الى الانصياع لهم .
- أن الطفل في هذه الفترة لايملك أدنى تجربة أوخبرة في الحياة .
- أن الطفل في هذه الفترة سهل التأثر والتشكل .
- أن الطفل لا يكون متأثرا بأي جماعة أخرى غير الأسرة .
- قابلية الطفل للإيحاء والتعلم .

- أن طبيعة العلاقة التفاعلية داخل الأسرة تتخذ صورة علاقة وجدانية وشعورية تترسخ بعمق في شخصية الطفل .
- خبرات الأسرة تتكرر يوميا في حياة الطفل، وهذا التكرار يجعل الأسرة مهمة .

حتى تضمن الاسرة نجاعة التنشئة التي توفرها لابناءها تعمد الى استخدام مجموعة من الاساليب والآليات من بينها : (22)

- تقديم المكافآت كوسيلة لتعزيز السلوك المستحب .
- فرض العقوبات الصارمة لتدارك سلوك غير مستحب .
- تعلم كيفية آداء الأدوار بالممارسة لتمكنه من إدراكها والتمييز بين أدواره داخل الأسرة وخارجها.
- تقديم التوجيهات المباشرة لاكسابه أهم المهارات والسلوكات التي هو بحاجة إليها وقد يتطلب الأمر تكرار ذلك عدة مرات
- التقليد والمحاكاة كأن يسرد الوالدين تجاربهما الماضية أو نماذج لشخصيات ناجحة في الحياة .

لذلك فإن **أهم الخبرات التي يكتسبها الطفل في هذا المحيط** خاصة خلال سنواته الخمس الأولى أين يكون أكثر طواعية للاستجابة ولإستدخال أكبر قدر ممكن من المعارف والخبرات تتمثل في : (23)

- يتعلم الطفل كيف يميز نفسه ككائن مستقل منذ السنة الثانية من عمره وهذا انطلاقا من الأهمية التي يوليها له أعضاء أسرته
- يتأثر الطفل بالأشخاص المكونين لأسرته، فهم الذين يحددون النمط العام لشخصيته التي تظهر في انفعالاته، استجاباته ....
- يتعلم الطفل الأنماط السلوكية المتعارف عليها اجتماعيا (سلوك الطعام، أصول النظافة،...)،والأساليب المشروعة لتحقيق الأهداف، وأساليب التعبير عن المشاعر والانفعالات .
- يتعلم اللغة والأساليب اللغوية الصامتة كالاشارات والايماءات ....
- يتعلم الطفل داخل الأسرة أسس الدور، متطلباته وتوقعات الآخرين من المواقف الاجتماعية المختلفة .
- يتعلم كيف يقوم بعدة أدوار كدور الأخ، دور الأبن، دور الصديق، دور القريب، دور التلميذ ....، كل ذلك يهيئه لاكتساب أدوار أخرى مستقبلا .
- يتكون مفهوم الذات تدريجيا عند الطفل انطلاقا من تفاعله مع أفراد أسرته ويبقى في اطار توجيهاتها حتى بعد اتساع دائرة علاقاته بعد ذلك إلى مؤسسات تنشئوية أخرى، كجماعة الرفاق، المدرسة....

لقد **ركزت العديد من الدراسات النفسية الاجتماعية على دور كل من الام، الاب والاخوة في عملية التنشئة** فلكل عضو أثره الخاص والفريد على شخصية الطفل

خاصة خلال المراحل الأولى من الطفولة، ولاثبات ذلك أجريت العديد من الاختبارات وصلت الى النتائج التالية : . (24)

إذ يتولد عن **حرمان الطفل من أمه** آثارا خطيرة على جوانب عديدة من شخصيته قد تظهر في ضعف تحصيله الدراسي، ضعف قدرته على اقامة علاقات مع الآخرين، احتمال تعرضه لمشاكل سلوكية،كالقلق، الخوف ...، كذلك **لغياب الأب** أثر هام على شخصية الطفل قد يختلف أثره بين الذكور والانات وقد يظهر شكلها عند الاناث في عدم الاعتماد على النفس والاعتماد الدائم على الآخرين، اما الذكور فكانوا غير متوافقين في علاقاتهم الاجتماعية، وغيرمتأكدين من أدوارهم الجنسية، ويتصرفون برجولة مفتعلة .

وكما لانسجام العلاقة بين الوالدين أثرها الخاص على النمو النمو النفسي الاجتماعي للطفل كذلك فان **لانسجام العلاقة بين الإخوة** أثرها الخاص، إذ يؤدي مثلا إختلاف معاملة الوالدين للأبناء وتفضيل طفل عن الآخر الى خلق أنانية وغيرة تجعل الأخ يشعر بنقص دائم وأنه غير مرغوب فيه مما يخلق العدوانية ين الأبناء .

قد يبدو من أول وهلة أن التنشئة الاجتماعية داخل الاسرة هي عملية تلقين عفوي غير مقصود يكتسب خلالها الطفل مبادئ السلوك السوي ووكيفية استخدام اللغة أو تقمص أدوار أفراد أسرته، لكن حتى وان اتخذ ذلك شكل التعليم غير الرسمي فقد تكون التنشئة الاجتماعية مقصودة في ذات الوقت، ويتضح ذلك من خلال المحاولات المتعمدة من قبل الوالدين لتدريب الطفل على قيم معينة تساعدة في عملية الاندماج الاجتماعي، فهي الوسيط بين الطفل والمؤسسات الاجتماعية التي ينتسب اليها، وهي التي تحدد النشاطات والنوادي التي يلتحق بها، كما تساعده في تفسير ما يتعلمه من الجماعات التي ينضم اليها .

6_ **أساليب الأسرة في التنشئة الاجتماعية** :

حتى تضمن الاسرة فعالية التنشئة الاجتماعية التي توفرها لأبناءها تعمد الى استخدام جملة من الأساليب والطرق التربوية الخاصة بغية ترسيخ المبادئ والقيم التي تؤمن بها، ان هذه العملية بحاجة الى حكمة وسعة صدر وثبات في المعاملة.

« إن عملية التطبيع الاجتماعي لا تعتمد على الطفل وحسب بل الأباء أيضا لأنها على القليل بمفهوم الضبط الاجتماعي، لا تحدث إلا إذا كان الآباء يعززون سلوك الطفل، أو يكافؤنه عليه، فإذا لم يقم الآباء بدور تقديم التعزيزات والمكافآت للطفل،، فإن عملية التطبيع الاجتماعية سوف تتأخر أو تعاق ويتحقق تعزيز سلوك الطفل عن طريق عناية الآباء بجسمه وبتدفئته، ومأكله، ومشربه .... ».(25)

تأخذ هذه الأساليب عموما شكلين أحدهما سلبي والآخر ايجابي :بالنسبة **للجانب الإيجابي** يتلخص في العناصر التالية :

1. **المساندة العاطفية** : إن العلاقات العاطفية والجو الأسري السليم الذي تهيئه الأسرة للطفل يساعد على تنشئته تنشئة طبيعية، إذ تبين الدراسات النفسية أن غياب الدفيء العائلي يخلق عند الطفل المحروم ملامح الانطواء واللامبالاة بالآخرين مع انخفاض في مستويات الذكاء . (26)

2. **أسلوب الضبط المعتمد من قبل الوالدين**: ويقصد بذلك قدرة الوالدين على التدخل في الوقت المناسب حتى لا يصل الطفل إلى درجة الانحراف، ويكون ذلك إما بالإقناع أو العقاب البسيط، ويكون أسلوب الإقناع والمناقشة أفضل، لذلك على الأسرة أن تقوي قنوات الاتصال والحوار بين أعضائها حتى تفتح المجال للتفاعل الإيجابي البناء لأنه يؤدي :

- خلق شعور الثقة بالنفس عند الطفل واستقلالية مما يفسح المجال لروح الإبداع .
- تكوين علاقات اجتماعية ناجحة خالية من القلق .

3 **تعويد الطفل على الاعتماد على نفسه وخلق روح المسؤولية فيه** .

أما الجانب **الســلبي** لهذه الأساليب فقد نجدها في بعض الأسر والتي قد تكون في الغالب غير مقصودة لتوفر ظروف معينة، كتعرض أحد الوالدين للحرمان في طفولته، أو وجود طفل وحيد في الأسرة ... وتتلخص هذه العناصر في : :

1. **النمط العدائي عند أحد الوالدين** : وتتجلى مظاهره في إتباع الأسلوب العقابي ذو الطابع العصبي الذي يكون أقرب منه الى الانتقام من الاصلاح والذي يؤدي الى شعور الطفل بالاحباط، واقتران سلوكه بالعدوان وابتعاده عن والديه هربا من العقاب، واضطراره للتعلق بجماعات خارجية مما يقلل فرص تنشئته داخل الأسرة.

2. **الحماية الزائدة للطفل من قبل الوالدين** : يحتاج الطفل الى الرعاية والحماية ولكن لا يجب أن يتجاوز ذلك درجة من الحماية المفرطة والتي قد يكون لها أبعاد غير مرغوب فيبها :

- كالتعلق المكثف بالطفل من خلال حرص الوالدين على إبقائه معهم على الدوام .
- التدليل من خلال التجاوز عن أخطاء الطفل .
- عدم اعطاء الطفل الحرية في استقلالية السلوك واتي قد يتولد عنها سوء تكيف الطفل مع المحيط الخارجي، وعدم قدرته على تحمل المسؤولية ويغلب عليه الميل الى الخضوع .

3. أسلوب التفرقة عبر تفضيل طفل من أحد الجنسين على الآخر .

4. اختلاف طريقة التربية بين الوالدين نظرا لاختلاف وجهات النظر بين من يفضل الصرامة ومن يفضل اللين مما يؤدي الى خلق شخصية متذبذبة .

لذلك على الأسرة أن تحسن إختيار أساليبها لأنها بصدد إعداد وبناء شخصية فرد سيساهم في بناء المجتمع .

7.**العوامل المِؤثرة على عملية التنشئة الاجتماعية :**تشتمل هذه العناصر على النقاط التالية :

1. **حجم الأسرة** :أثبتت أغلب الدراسات أن الأسر الكبيرة والتي قد تشمل أعضاء الأسرة من ثلاث أجيال الى أربعة أجيال تتميز بصعوبة الاهتمام بالابناء

واستخدام أسلوب الضبط وسيادة جو السيطرة و التسلط، وان كان الأبناء يتعلمون فيها كيفية الاعتماد على النفس .ومازالت الأسر العربية رغم تحولها الشكلي الى نمط الاسرة النواة الا أنها لم تبلغ مستوى الانعزال بنفسها، فالنسق القرابي فيها مازال يفرض كامل تأثيراته عليها .

2. **الخلفية الدينية** : الأسرة التي تركز على القيم والمبادئ الدينية في تنشئة أبنائها من خلال الحرص على آداء العبادات ومراعاة تعاليم الدين في نشاطاتها اليومية، وعلاقاتها مع أبناءها ومع الآخرين تكون ذات أثر إيجابي وعميق في نفس الطفل، بل وتساهم في تكوين الضمير لدى الطفل الذي يصبح بمثابة قوة ضابطة داخلية تجعله يضبط تصرفاته دون الخوف من الرقابة الخارجية لأنه يطبق ماترسخ بداخله بصورة تلقائية .

3. **التعليم** :يؤثر المستوى التعليمي للأسرة ودرجة إقبالها على العلم في اتجاه الطفل نحو الدراسة، فالأسرة التي تهتم بالاطلاع وتقدر المعرفة والأساليب المتنوعة لتحصيلها ينعكس ذلك بطريقة غير مقصودة على اهتمامات أبناء ها، كما تؤثر تلك الخبرات على طريقة تفاعلها مع أبناءها بل وترقي مستوى الاتصال الداخلي .

4. **الظروف الاجتماعية والاقتصادية** :يرتبط هذا العنصر بالذي يسبقه على اعتبار أن المستوى الاجتماعي والاقتصادي يؤثر على طبيعة ومستوى اهتمامات الأسرة

5. **وسائل الاعلام والاتصال** :بفضل التطور التكنولوجي المتسارع أصبحت وسائل الاعلام الجماهيري على اختلاف أنواعها جزءا لا يتجزء من حياتنا إذ تساهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة في توجيه أذواق وسلوكات الأطفال وخاصة المراهقين الذين يبحثون لهم عن نماذج يتقمصونها خاصة مع اتساع دائرة تأثيرها التي أصبحت ذات بعد عالمي . (27)

8- **أساليب التنشئة الأسرية بين ضرورة التغيير وتحديات النظام العالمي الجديد :**

عرفت المجتمعات المعاصرة على اختلافها تحولات هامة شملت مختلف ميادين والتي أثرت على وظائف الأسرة ونظرتها الى الحياة فمع تزايد متطلبات الاسرة في ظل إتساع الخيارات وإغراءات الحياة المعاصرة استفادت هذه الأخيرة من إمتيازات عدة بدءا بارتفاع مستوى التعليم وتسارع وتيرة التراكم المعرفي كذا تعدد مصادر المعرفة التي منحتها خيارات أوسع وأساليب أنجع لمتابعة أبنائها وتحسين مستواهم وذلك بالتوظيف الإيجابي لتكنولوجيا الاتصال واستخدام الصورة والصوت في عملية التنشئة مثل البرامج الالكترونية التعليمية المتاحة عبر الأقراص المضغوطة والحصص التلفزية التي تتعدد بتعدد القنوات، الأنترنيت التي تفتح فضاءا خصبا للمعرفة والتواصل، ...على اعتبار أن المجتمعات المعاصرة أصبحت تعتمد على اقتصاد المعرفة الأمر الذي زاد من أهمية تطوير القدرات المعرفية والإبداعية عند الأبناء والتي أصبحت سمة أساسية تساهم في تحديد وضعهم في المجتمع لذلك أصبحت

الأسرة أمام رهانات صعبة عليها الإيفاء بها حتى تضمن نجاح أبناءها لهذا السبب أصبحت تسهر على.تنمية قدرات أبناءها في مراحل عمرية مبكرة عن طريق استخدام المناهج التربوية والتعليمية الحديثة كألعاب الذكاء المبرمجة، وغيرها

لكن هذا لا يغننا عن الحديث عن سلبيات استخدام هذه التقنيات التي يجب استخدامها استخداما رشيدا، ولا يتأتى لنا ذلك الا بتوعية الاسرة بذلك عن طريق قيامها بتوجيه عملية الاستهلاك الثقافي بحيث لا تترك العنان للطفل كي يجول لوحده في الفضاء المعلومات الواسع بل عليها توجيه إدراكه الى ضررورة أن يأخذ إستهلاكه صبغة نوعية وانتقائية تتلائم وطبيعة القيم الهادفة التي عمدت على استدخالها في شخصيته وتحرص على ان يصبح ذلك ميزة فيه يقوم بها بنفسه وبصورة تلقائية .

وبما أن مجتمعنا اليوم أصبح متفتحا على ثقافات أخرى تؤمن بقيم غريبة عنا، أصبح من واجب الأسرة أن تقوم بدورها على أكمل وجه، ذلك أن عالمنا المعاصر الواقع تحت مفعول النظام العالمي الجديد بكل ما يطرحه من إشكاليات جاء ليعرض علينا أنماطا سلوكية جديدة يسعى من ورائها الى تنميط الأفراد في اطار نموذج ثقافي واحد لا مكان فيه للخصوصيات .

« فالعولمة هذه الظاهرة الاقتصادية ذات الأبعاد الثقافية جاءت لتعكس شمولية الاقتصاد العالمي في القرية الكونية التي يظهر فيها التحالف بين المال، التقنية، الإرادة السياسية الموجهة لمسارها والتي تزداد تطورا بفعل تطور الشبكات الاتصالية، الأمر الذي يمنحها القدرة على التوحيد ونزع الخصوصيات الثقافية.. ».. (28)

ولاشك أن كل ذلك يدعونا الى تعزيز دور الدين وتفعيل الروابط الأسرية والسعي لإعادة إنتاج الأساليب التنشئوية السليمة المبنية على القيم والمبادىء الهادفة، ففي الأسرة يتعلم الطفل قيم مجتمعه التي ستكون منهاج حياته وإذا فشلت الأسرة في آداءها دورها يترتب عن ذلك عواقب وخيمة على الأسرة والمجتمع ككل .

ولعل ظاهرة العنف هي إحدى الظواهر الاجتماعية التي شدت انتباه الدارسين والتي لم تتولد من العدم بل أسهمت في إنتاجها عدة عوامل من بينها إعتماد بعض الاسر على اساليب تنشئوية خاطئة في تربية أبنائها دون وعي منها، فالعنف هو كل سلوك اقترن باستخدام القوة بصورة غير مشروعة يستطيع التأثير على ارادة الفرد وهو كما يعرفه أحمد حجازي : « . السلاح الأخير لاعادة شيء من الاعتبار الى الذات من خلال التصدي مباشرة ... وهو لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حين يحس المرئ بالعجز عن ايصال صوته بوسائل الحوار العادي وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في اقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه ... ».(29)

فمظاهر العنف التي تسود الاسرة يتم إعادة انتاجها من قبل الابناء الذين يكتسبونها عن طريق التنشئة الاجتماعية الي تأخذ طابع الاحتكاك، والتعلم بالقدوة، خاصة إذا كان العنف كممارسة يصنف داخل الأسرة ضمن السبل المحمودة المستخدمة لحل المشكلات والصراعات، ويعتبر مظهرا للخشونة والاعتماد على النفس، ومصدرا لتحقيق التفوق خاصة بالنسبة للذكور .

ويؤكد الدكتور ناصر محمد المهيزع ,استاذ علم الاجتماع, أن ظاهرة العنف الأسري جاءت نتيجة للحياة العصرية، إذ أن من ضرائب التنمية والتحضر ظهور مشاكل اجتماعية لم تكن موجودة في المجتمعات التقليدية. ويشير إلى أنه في مرحلة ما قبل التنمية كانت قضايا العنف الأسري أقل، إلى جانب ذلك يرى أن الحياة في زحام المدينة واشتداد المنافسة على فرص العمل وازدياد الاستهلاك مع ضعف الموارد وانخفاض الدخول وتراكم الديون على الأفراد وعجزهم عن تلبية متطلباتهم الأساسية وضعف الروابط الأسرية، كلها مجتمعة تعد المنبع الذي ينبع منه نهر العنف الأسري.أما من الناحية النظرية فيرجعها إلى سببين رئيسيين هما: التعلم والإحباط، إذ يرى أن العنف والاستجابة بطريقة عنيفة يكونان في بعض الأحيان سلوكاً مكتسباً يتعلمه الفرد خلال أطوار التنشئة الاجتماعية. ويلفت إلى بعض الدراسات التي وجدت أن الأفراد الذين يكونون ضحية للعنف في صغرهم، يُمارسون العنف على أفراد أسرهم في المستقبل. ويعتقد أن القيم الثقافية والمعايير الاجتماعية تلعب دوراً كبيراً ومهماً في تبرير العنف، إذ أن قيم الشرف والمكانة الاجتماعية تحددها معايير معينة تستخدم العنف أحياناً كواجب وأمر حتمي. (30)

من كل ذلك يظهر مما لا يدعو للشك حقيقة ضرورة تأصيل الأساليب التنشئوية السليمة داخل الأسرة حتى لا يصل المجتمع في ظل كل هذه التحولات الى طريق مسدود .خاصة أن حياتنا المعاصرة أصبحت مليئة بالاضطرابات النفسية وأشكال القلق المختلفة التي زادت من مسؤوليات الأسرة التي أصبحت الملاذ الروحي الوحيد الملزم بتفعيل التواصل للتخفيف من حدة هذه الظروف . في هذا الصدد نقترح جملة من **العوامل لتفعيل المتابعة الأسرية لعملية التنشئة الاجتماعية للأبناء في ظل المتغيرات الراهنة :**

- تسليح الطفل بالقيم الدينية التي تزخر بها ثقافتنا الإسلامية ليس عن طريق التلقين فحسب بل عن طريق الممارسة والقدوة الحسنة حتى تترسخ في شخصيته وتبنى خصوصيته في مواجهة أشكال الاستلاب الثقافي .
- توفير جو التفاعل الوجداني والحسي المبني على الاستقرار و التوافق الأسري الذي يساعد على النمو السوي لشخصية الطفل، ويوفر الأرضية لبزوغ المواهب خاصة خلال السنوات
- تفعيل روح التواصل بكل أشكاله داخل الأسرة لفتح المجال للأبناء كي يتعلموا كيفية التعبير عن ذواتهم وتطوير أساليب التواصل والمناقشة .
- تدريب الطفل على منهجية خاصة في اكتساب المعلومات المتاحة عبر مختلف الوسائل التقليدية أو الحديثة كالانترنيت، بعدم التركيز الكلي على الحفظ والاعتماد على الفهم والتحليل العقلاني الذي يتزاوج مع الروح النقدية البناءة لتطوير القدرات التحليلية والابتكارية لديه ليحسن التعامل

مع التدفق المعلوماتي الذي أصبح مشكلة اليوم حتى في نظر الباحثين، ويتمكن من توظيفها في الجانب الايجابي لا السلبي .

- أن تكون الأسرة على الأقل مطلعة على مختلف التطورات التي تعرفها التقنيات المعلوماتية وتحسن التحكم فيها حتى تتمكن من متابعة طبيعة استهلاكه الثقافي وبالتالي الإشراف على عملية التنشئة حتى لا ينقلب الوضع لصالح الأبناء .
- وضع برنامج خاص ينظم عملية الاستهلاك الثقافي للمعلومات عند الطفل انطلاقا من الوسائل التقليدية كالكتاب إلى الوسائل المعلوماتية، من خلال ضبط برنامج زمنى ونوعي يحدد ذلك .

وفي الأخير نصل الى حقيقة مؤداها أنه على الرغم من تناقص وظائف الأسرة في إطار اتساع نطاق المؤسسات التنشئوية المكملة لها والساعية الى استكمال مسيرة التنشئة الاجتماعية التي بدأتها الأسرة يبقى دور الأسرة يحظى بنفس الأهمية، على اعتبار أن الأسرة هي القاعدة الأساسية التي ينفذ من خلالها الفرد الى المؤسسات التنشئوية الأخرى، وهي المحيط الأول والأخير الذي يعود اليه الفرد في كل مرة، ولديها القدرة على توجيه ومتابعة كل التغيرات التي قد تحدث في حياته، لذا فمن الأولى الإشادة بأهمية أدوار الاسرة وخاصة دورها التنشئوي في الفترة الراهنة، لثقل المهام الموضوعة على عاتقها في ظل التحولات التكنولوجية والاتصالية السريعة التي تضعها أمام خيارات صعبة، ولا يكون ذلك ممكنا الا بأخذ موقف تفاعلي من القضية فنأخذ من ثقافة الآخر جانبها الايجابي الذي نوظفه لاستحداث أساليب التنشئة الاجتماعية المستخدمة ثم يتم تكيفها وفق النسق الثقافي الخاص بنا، مع إعطاء الأولوية للنسق القيمي في كل ذلك .

الهوامش

1_جابر عوض سيد حسن، خيري خليل الجميلي. الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة , المكتبة الجامعية , الاسكندرية , 200 , ص 6.

2_حسين عبد الحميد رشوان .الأسرة والمجتمع دراسة في علم الاجتماع العائلي, مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،2003 , ص 25

3_أنتوني غيدنز . علم الاجتماع، تر : فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2005، ص262

4_صالح سليمان عبد العظيم."التحولات والمشكلات المرتبطة بالأسرة الخليجية حديثة النشأة دراسة حالة لواقع الأسرة االاماراتية المعاصرة "، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد 19، سبتمبر، 2006،ص173

5_ أنتوني غيدنز. مرجع سابق، ص ص 264 268

6_خال أحمد شلال . التواصل القرابي والخلافات في الأسرة الكويتية دراسة اجتماعية ميدانية، مجلة بحوث الشرق الاوسط، العدد 16، 2006 ص ص57 60

7_طلعت همام . سين وجيم عن علم الاجتماع، مؤسسة الرسالة, الجزائر، 1989, ص ص 81 .85
8_حسين عبد الحميد رشوان، المرجع نفسه، ص50
9_مصطفى الخشاب. دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص .89
10_غي روشي . مدخل الى علم الاجتماع العام _ الفعل الاجتماعي_, تر: مصطفى دندشلي، المِؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ص.66
11_أحمدزايد وطلعت لطفي . الاسرة والطفولة _دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية _إشراف علياء شكري، دار المعرفة الجامعية، السكندرية، بون سنة، ص .181
12_ جابر عوض سيد حسن، خيري خليل الجميلي، المرجع نفسه، ص.61
13_ سامية حسن الساعاتي . الثقافة والشخصية بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983,ص29.
14_المرجع نفسه، ص21.
15_ غي روشي . المرجع نفسه، ص ص165_167
16_ جابر عوض سيد حسن، خيري خليل الجميلي، المرجع نفسه، ص ص 63_64.
17_ غي روشي . المرجع نفسه، ص ص181_183
18_طلعت ابراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات. النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب : القاهرة، 1999، ص
19_ غي روشي . المرجع نفسه، ص184.
20_معن خليل العمر . التنشئة الاجتماعية، دار الشروق، الأردن، 2004، ص 18.
21_رشاد صالح دمنهوري . التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1999، ص33.
22_معن خليل العمر .المرجع نفسه، ص ص 62 65.
23_سميرة أحمد السيد . علم الاجتماع التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص64
24_رشاد صالح دمنهوري. المرجع نفسه، ص ص34 _36
25_عبد الرحمن العيسوي . سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر العربي، بيروت، 2005، ص ص 183_185
26_رشاد صالح دمنهوري. المرجع نفسه، ص ص49_50 .
27_سميرة أحمد السيد . المرجع نفسه، ص ص70_71.
28_يحي يحياوي . العولمة، أية عولمة، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص12
29_مصطفى حجازي . التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط 8، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2001 , ص165.
30_ناصر محمد المهيزع، « العنف الأسري في نظر علم الاجتماع ضريبة الحضارة والتنمية الحديثة ».، www alblagh ORG.
2006-11-20، 11:06 .